

نساء باسقات



المهندسة الزراعية نسيبة جعفر سالم

مدير إدارة الارشاد، مشروع نوري الزراعي

nosibasalim61@gmail.com

احتياجاتهم الأسرية من ملابس ومأكل
وأثاث وغيرها ومن هنا تأتي المحبة بينهم
وبين النخلة، فقد مجدوها في أشعارهم
وعددوا فوائدها وها هو شاعر السودان
(محمد الحسن حسن سالم حميد.. له
الرحمة والمغفرة) يذكر دخولها لكل بيت
سوداني بمصنعاتها المختلفة:

تلقاها خشت في البيوت

وبي كل صراح

تقروقة سجاجة طهورة

طبق من العرجون

ضنيب هبابة

طاب طبطابة

قفة وكسكسيكة

حبل متين

فتلوهو في ضل الدليب

نشلوبو من بير للشرب

نسجوبو بنبر وعنقريب

تلقاها خشت في البيوت

جوبيل جريد

يعرّش سقف بيتا جديد

في أرض الشمال السوداني حيث تتراص
القرى وتتلصق كأنها كتلة واحدة تجمع
سكانها أوأصر القربي والمصاهرة حتى
صارت كالجسد الواحد إذا دعت إحداهن
تداعت لها الأخريات بالشهامة والكرم
والبسالة.

تقف النخلة في هذه البقاع صامدة
شامخة شموخ سكان الشمال وعزتهم..
تبسر لهم الكثير من سبل الحياة فهي
التي يستفاد من كل أجزائها في الغذاء
والوقود والمسكن وغيره.. فالكل يعتبر
موسم الحصاد هو موسم للأفراح وفيه
تقام الزيجات و(تفك الجرورة) (دفتري
الديون عند البقال) وكما يقال بحل الديون
تنام العيون.

كل المثقفون والذين يشغلون المناصب
السياسية والعلمية من أهل الشمال
كانت النخلة هي الرافد والمُصَرِّف الممول
لهم، يعتمدون عليها اعتماداً كلياً فتسكن
الأنفوس من متاعب الحياة ويتسابق الناس
لتجديد حياتهم ومناسباتهم وشراء

اول دخلتو عريس سعيد

مبسوط يقرر بانشرح

فالكل لا تسعه الفرحة في موسم
الحصاد والذي ينتظره الصغير والكبير
لسان حالهم يردد حديث المصطفى
صلى الله عليه وسلم "يا عائشة بيت لا
تمر فيه جياع أهله".

يعتقد المزارعون بما توارثوه عن أجدادهم
أن النخلة لا تحتاج لعناية كبيرة فهي تجسد
الصبر في أسمى معانيه، فهم وإن رعوها
تكون رعايتهم لها غير كاملة والاهتمام
بها تنقصه الكثير من الأمور الفنية الزراعية
والارشادية..

فصار الإنتاج قليلاً وبدأت ظروف الحياة
تضيق شيئاً فشيئاً وقلت الأفراح ولم
يعد موسم الحصاد موسماً للفرحة وفك
الضيق...

وسط هذه الحيرة كان هنالك ضوءٌ يظهر
رويداً رويداً يذكرنا بأسطورة (أبو لمبة أو أبو
فانوس) وهي أسطورة مرتبطة بقاطني
الصحراء إذ يظهر لهم ضوء ويختفي في
جميع الاتجاهات ويفسرونه برجل يحمل
مصباح يتحرك سريعاً... ربما هو خيال
تصوره عقولهم التواقفة لبصيص نور في
تلك الصحراء.

ظل الضوء يسطع لأهل الشمال ويقترب
منهم والجميع يترقب والقلوب تواقه هل
الآتي منقذهم؟ وهل تعود للنخلة صحتها
وعافيتها وترجع ترسم على وجوههم
الفرح والسرور الذي بدأ في النقصان؟
أنتهم تمتطي السيارة الحكومية (اللاندر
روفر) جيئةً ونهاباً وتطوافاً بمزارع النخيل
ومساعدة المزارعين وتشجيعهم لزيادة
اهتمامهم بالنخلة الأمر لتعيد لهم سيرتها
الأولى على أكمل وجه بالرعاية والحدثة.
فالتصور تعتبر المحصول النقدي الرئيسي
لأهل الشمال ويعتمدون عليها كلياً في
حياتهم.

أنتهم وهي تحكي عن تاريخ حافل وتحكي
عن المرأة السودانية وبسالتها في هذه
البقاع.. كيف لا فهي حفيذة مهيبة (هي
الشاعرة مهيبة بت عبود التي ذاع صيتها
بين القرى والنجوع بصولاتها وحماسها
للمحاربين ضد جحافل الجيوش الغازية
ومن أكثر أشعارها انتشاراً..

الليلة كان خفتو يارجالتنا*

ادونا السيوف هاكم رحاظتنا*

وغيرها الكثير الذي لا يحصى.. د. مريم
ابنعوف الحسن الباحثة في مجال النخيل
والتصور والتي اهتمت بالأصناف المحلية

وانتخاب السلالات البذرية الممتازة في
المنطقة والتي اشتهرت بجودتها كما
ونوعاً ولا زالت تدعو كل المهتمين بالتصور
لإقامة مجمع وراثي للحفاظ على الأصناف
المحلية من الانقراض... أنت هي
وصاحبها اللتان اجتمعتا على قلب نخلة
واحدة فكان عشقهما واحد وطريقهما
واحد فصاحبها د. فاطمة باشاب الباحثة
أيضاً في نفس المجال والتي ما فتئت
ولا توانت في إرشاد المزارعين لخدمة
رأس النخلة (التلقيح، الخف، التدلية،
التقويس، إزالة الاجزاء الجافة، الحصاد)
وأيضاً أنواع التلقيح وأفضلها التلقيح الآلي
وظلت تقنع المزارع التقليدي بخف الثمار
لتحسين النوعية.

آمننا برسالتيهما البحثية والارشادية
بإقامة الندوات والمزارع الإيضاحية
والجمعيات الطوعية والمعارض الزراعية
فكانت خطواتهما العلمية متلاحقة إلى أن
نالتا درجة الدكتوراه.

الكل في شمال السودان يعرفهن ما أن
يذكر النخيل إلا وهن حاضرات..

لهن في مزارع النخيل غرس ودرس جديد..
وفي الصحاري غرس..
وفي القلوب غرس دائم.

